

رَمَضَانُ

شَهْرُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالْإِنْتِصَارَاتِ

ابن شهوان

مَجْمَعٌ دَرَسِيٌّ

مِنْ خُطْبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ قِصِيَّةِ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ دَسْلَانَ

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

تَرْبِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْجُودِ

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُرَبِّي أَصْحَابَهُ عَلَى الْبَذْلِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ، وَيَحْضُهُمْ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَغَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّدَقَةِ يَوْمًا، وَقَدْ صَادَفَ ذَلِكَ مَا لَّا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتَهُ يَوْمًا.

قَالَ: فَانْقَلَبْتُ إِلَى أَهْلِي، فَاتَيْتُ بِشَطْرِ مَالِي - يَعْنِي بِنِصْفِهِ - حَتَّى وَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

قُلْتُ: مِثْلَهُ.

قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَوَضَعَ مَا أَتَى بِهِ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ.

فَقَالَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ.

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا جَرَمَ، لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ بَعْدَهَا أَبَدًا^(١).

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٢ / ١٢٩، رقم (١٦٧٨)، والترمذي في «الجامع»: ٥ /

٦١٤، رقم (٣٦٧٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

فَأَذَعَنَ لَهُ بِالسَّبْقِ، وَصَدَّقَ فِعْلُ أَبِي بَكْرٍ مَا كَانَ فِي نَفْسِ عُمَرَ رضي الله عنه: الْيَوْمَ
أَسْبِقُهُ إِنْ كُنْتُ سَابِقَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسْبِقْهُ.

وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَكْنِزُونَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، وَلَا يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ؛ بَلْ كَانُوا أَجْوَدَ
الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلوات الله وسلاماته بِعَطِيَّتِهِ، وَهَبِيَّةِ، وَصِلَّةِ، وَبِرِّ ^(١).

وَالرُّسُولُ صلوات الله وسلاماته يُعَلِّمُهُمْ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَيُرَبِّيهُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُ صلوات الله وسلاماته
كَانَ جُودُهُ لَا يُبْقِي لَدَيْهِ شَيْئًا مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَيَّتَ ذَا كَبِدٍ رَطْبَةٍ ^(٢).

والحديث حسن إسناده الألباني في «صحيح أبي داود»: ٥ / ٣٦٥ و ٣٦٦، رقم (١٤٧٣).

(١) أخرج مسلم في «الصحيح»: ٢ / ٧٠٤ و ٧٠٥، رقم (١٠١٧)، من حديث: جَبْرِ، قَالَ:
كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته فِي صَدْرِ النَّهَارِ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ
الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ
صلوات الله وسلاماته لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَا لَأَفَازَنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ
فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ﴿النساء: ١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَالْآيَةِ
الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسًا مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿الحشر: ١٨﴾،
تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ
تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفَّهُ تَعْجِزُ
عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى
رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته: «مَنْ سَنَّ فِي
الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلِ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ
أُجُورِهِمْ شَيْءٌ...»، الحديث.

(٢) أخرج الترمذي في «الجامع»: ٤ / ٦٤٤، رقم (٢٤٧٠)، من حديث: عَائِشَةَ، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا
شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله وسلاماته: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ
كَتِفِهَا».

عَبَدَ اللَّهِ! لَا تَبْغِ عَلَى الْإِطْعَامِ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَإِنَّمَا تَقَعُ صِدْقَتِكَ فِي يَدِ اللَّهِ، فَيُرِيهَا لَكَ، كَمَا يُرِيِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، يَعْنِي مُهْرَهُ.

فَمَا يَزَالُ يَرُبُّ وَيَرُبُّ حَتَّى تَكُونَ التَّمْرَةُ جَبَلًا مِنْ تَمْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنِّي هَذَا، وَمَا امْتَلَكْتُ عَشْرَ مِئَاتِهِ فِي الدُّنْيَا أَبَدًا!!

يَقُولُ: «صِدْقَتِكَ فِي يَوْمِ كَذَا، مَا زِلْتُ أُرِيهَا لَكَ» يَعْنِي: أَزِيدُهَا لَكَ بَرَكَتًا، وَعَطَاءً، وَبِرًّا، حَتَّى صَارَتْ إِلَيَّ مَا تَرَى^(١).

وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُخْبِرُ النَّاسَ مِنْ أَصْحَابٍ وَمَنْ يَلِي، يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ جَدِيدٍ إِلَّا وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْعَلُ مَلَكَيْنِ هُنَالِكَ قَائِمَيْنِ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا: «اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ اعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(٢).



والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: ٦/٩٧، رقم (٢٥٤٤).

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: ٣/٢٨١، رقم (١٤١٠)، ومسلم في «الصحيح»: ٢/٧٠٢، رقم (١٠١٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِيِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».

وفي رواية لمسلم: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصِدْقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرِيِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلَهُ».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٣/٣٠٤، رقم (١٤٤٢)، ومسلم في «الصحيح»:

٢/٧٠٠، رقم (١٠١٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَأَهْلَهُ

لَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ -: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» (١).

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْكَرِيمُ وَهُوَ الْجَوَادُ، وَيُحِبُّ الْكَرَمَ وَأَهْلَهُ، وَيُحِبُّ الْجُودَ وَأَهْلَهُ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْكَرَمَ وَالْجُودَ مِنْ مَعَالِيَ الْأُمُورِ.

(١) أخرج الترمذي في «الجامع»: ١١١ / ٥، رقم (٢٧٩٩م)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: ٦ / ٧٠ و٧١، رقم (٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: ١٤ / ٢٨٨ و٢٨٩، ترجمة (١٥٨٥) واللفظ له، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ...»، وفي أخرى: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَنْظِفُوا أَفْنِيَتِكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه الألباني في هامش «المشكاة»: ٢ / ١٢٧١ و١٢٧٢، رقم (٤٤٨٧)، وروي أيضا عن سهل بن سعد وجابر والحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ كَرِيمِ بْنِ الْخَزَاعِيِّ مَرْسَلًا، بنحوه.

وَيَكْرَهُ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - السَّفَاسِيفَ، وَالْأُمُورَ الْمُسْتَضْعَرَةَ، وَالْأَحْوَالَ
 الْمُسْتَرْذَلَةَ، يَكْرَهُ اللَّهُ سَفْسَافَ الْأَخْلَاقِ، وَمُنْحَطَّهَا، وَيُحِبُّ اللَّهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -
 مَعَالِيَ الْأُمُورِ.



الْجُودُ وَالْإِيثارُ فِي رَمَضَانَ

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ^(١)؛
فَهَذَا مَحَلٌّ لِلتَّرْبِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ عَلَى الْجُودِ، وَالْبَذْلِ، وَالْعَطَاءِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُمَارِسُ ذَلِكَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ، وَفِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ؛ لِيَقْتَدِيَ بِهِ
مَنْ هُنَالِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمَنْ يَأْتِي بَعْدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ
وَمَنْ عَلَيْهَا.

«وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ» يَعْنِي: يَبْلُغُ الْجُودُ مِنْهُ غَايَةَ الْوُسْعِ بِحَيْثُ
لَا جُودَ فَوْقَ جُودِهِ يَكُونُ لِمَخْلُوقٍ أَبَدًا ﷺ.

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَبِينُ لَنَا عَلَى لِسَانِ نَبِينَا ﷺ طَرِيقَةَ عَمَلِيَّةِ الْخُرُوجِ مِنْ قَيْدِ
النَّفْسِ، وَمِنْ أَسْرِ شَحْهَها؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَدَرَّبَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْعَطَاءِ، وَيَجْعَلَهَا

(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ١ / ٣٠، رقم (٦)، ومسلم في «الصحیح»: ٤ / ١٨٠٣،
رقم (٢٣٠٨)، حديث: ابن عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ
مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ
الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

النَّبِيُّ ﷺ حَالَةً مِنْ حَالَاتِ الْبَدَلِ الَّذِي لَا يَتَنَاهَى؛ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: «وَابْتِسَامُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(١).

وَمَا هِيَ بِشَيْءٍ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَلَكِنَّهَا عُنْوَانٌ عَلَى بَاطِنٍ مُبْسِطٍ لِيَخْلِقَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمَّا كَذَاذَةُ الطَّبَعِ، وَأَمَّا الْعُلْظَةُ وَالْجَفَاءُ وَالْفِظَاطَةُ؛ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُبِصَّ شَيْئًا مِنْ ابْتِسَامٍ، وَلَا شَيْئًا مِنْ فَرَحٍ يَلْقَى بِهِ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا، وَيَلَاقِي بِهِ مُسْلِمٌ مُسْلِمًا.

فَالنَّبِيُّ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كَمَا وَصَفَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَالَهُ: «أَجُودٌ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»^(٢).

وَكَانَ هُوَ فِي حَالَتِهِ فِي غَيْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ، وَأَجُودَ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَفِي «الصَّحِيحِ»^(٣): أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِبُرْدَةٍ فَأَهْدَتْهَا إِلَيْهِ.

تَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٣٣٩/٤، رقم (١٩٥٦)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ...» الحديث.

والحديث حسنه الألباني في «الصحيحة»: ١١٦/٢، رقم (٥٧٢)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب»: ٥٨١/٢، رقم (٢٣٢١)، وأصله في «صحيح مسلم»: ٤٩٨/١، رقم (٧٢٠)، بلفظ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ...»، الحديث.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «صحيح البخاري»: ١٤٣/٣، رقم (١٢٧٧)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالُوا: الشَّمْلَةُ^(١).

قَالَ: شَمْلَةٌ مُطْرَزَةٌ بِحَاشِيَتِهَا، مَنْسُوجَةٌ بِحَاشِيَتِهَا^(٢).

فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبِسَهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْسِنِيهَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ لَكَ». وَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا.

ثُمَّ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْتَهُ، فَأَقْبَلَ أَصْحَابَهُ - أَيْ أَصْحَابُ الرَّجُلِ، أَقْبَلُوا عَلَيْهِ لِأَمِينٍ، وَقَالُوا: تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ السَّائِلَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ لَشَيْءٍ: لَا، قَطُّ، وَأَنَّكَ مَتَى سَأَلْتَهُ أَنْ يُعْطِيَكَهَا أَعْطَاكَهَا مِنْ غَيْرِ مَا تَسْوِيفٍ وَلَا مَنْظَرَةٍ - يَعْنِي مِنْ غَيْرِ مَا أَنْتَظَرِ وَلَا تَرْتِثِ -، وَأَخَذُوا يَلُومُونَهُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ إِنَّمَا أَخَذَهَا وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا ﷺ.

فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُهَا إِلَّا رَجَاءَ بَرَكَتِهَا؛ إِذْ جَعَلَهَا عَلَيَّ جِلْدِهِ، إِذْ جَعَلَهَا عَلَيَّ جَسَدِهِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ كَفَنِي.

فَكَانَتْ!!

(١) الشَّمْلَةُ: كِسَاءٌ يُتَعَطَّى بِهِ وَيُتَلَفَفُ فِيهِ، انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير: ٥٠١ / ٢، مادة (شَمَل).

(٢) حَاشِيَةٌ كُلُّ شَيْءٍ جَانِبُهُ وَطَرْفُهُ، والمراد: أَنَّهَا جَدِيدَةٌ لَمْ يُقَطَّعْ طَرْفُهَا وَلَمْ تُلْبَسْ بَعْدُ، انظر: «فتح الباري» لابن حجر: ١٤٣ / ٣.

فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَالَاتِهِ جَمِيعَهَا أَجُودَ الخَلْقِ، لَا يَرُدُّ سَائِلًا، وَيُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ»^(١): أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا فِي شِعْبِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ^(٢).

فَأَعْطَاهُ الرَّسُولُ ﷺ إِيَّاهَا جَمِيعَهَا.

فَعَادَ الرَّجُلُ إِلَى قَوْمِهِ يَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الفَقْرَ.

يُعْطِي النَّبِيُّ ﷺ عَطَاءً بِلَا حُدُودٍ، وَهُوَ يُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَلَّفُ بِالْعَطَاءِ، وَبِالْبَدْلِ قُلُوبَ أَقْوَامٍ لَا تُقَادُ إِلَّا بِزِمَامِ العَطَاءِ، وَلَا تُنْقَادُ إِلَّا لَهُ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجُودَ النَّاسِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْمَلَ النَّاسِ.

(١) «صحيح مسلم»: ٤/١٨٠٦، رقم (٢٣١٢)، من حديث: أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ»، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الفَقْرَ».

وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ،... فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ بِمَا يَرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».

(٢) أي: كَثِيرَةٌ كَانَتْهَا تَمَلُّ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، انظر: شرح النووي على «صحيح مسلم»:

عِبَادَ اللَّهِ! يَقُولُ رَبُّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -: «يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَمِينُهُ مَلَأَتْ، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ»^(١).

نَعَمْ! لَوْ أَنَّكَ نَظَرْتَ مَا أَنْفَقَ، وَكَمْ أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ؛ لَعَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَعْظَمٌ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَأَمَّا عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَشَيْءٌ هَيِّنٌ يَسِيرٌ.*



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٣٥٢ / ٨، رقم (٤٦٨٤)، ومسلم في «الصحیح»: ٦٩١ / ٢ و ٦٩٠، رقم (٩٩٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: «أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ»، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَتْ لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ». وفي رواية لهما: «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَتْ...».

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ دَعْوَةٌ لِلْجُودِ وَالْكَرَمِ» - الْجُمُعَةَ ٤ رَمَضَانَ ١٤٢٦ هـ -

الْحَثُّ عَلَى أَلْوَانٍ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي رَمَضَانَ

إِنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي تُعْمَلُ فِي رَمَضَانَ مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: الصَّدَقَةُ:

* فَالصَّدَقَةُ مِنْ أَعْمَالِ هَذَا الشَّهْرِ، وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ فِيهِ: الصَّدَقَةُ وَالْجُودُ بِالْمَوْجُودِ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»^(١).

لَقَدْ رَغِبَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله فِي تَفْطِيرِ الصَّائِمِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَسَقْيِ الْمَاءِ (*):
النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله يُخْبِرُنَا النَّبِيُّ أَنَّ مَنْ فَطَّرَ فِيهِ - أَيْ فِي رَمَضَانَ - صَائِمًا كَانَ لَهُ
مِثْلُ أَجْرِهِ؛ وَلَوْ بِمَذْقَةٍ مِنْ مَاءٍ أَوْ لَبَنٍ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَجْعَلُ اللَّهُ - جَلَّتْ
قُدْرَتُهُ - الثَّوَابَ وَافِرًا، وَيَجْعَلُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعَطَاءَ وَاصِلًا؛ وَلَوْ عَلَى
جَرَعَةٍ مَاءٍ.

(١) تقدم تخريجه.

(* ما مرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ/

فَمَا أْبْلَغَهُ مِنْ عَطَاءٍ لَا يُقَابَلُ إِلَّا جَرَعَةً مِنْ مَاءٍ، هِيَ مُبْدُولَةٌ فِي كُلِّ حِينٍ لَطَالِبِهَا بِفَضْلِ رَبِّهَا وَقَدْرَتِهِ!! (*)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ»^(١)، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ عَرَفْتَهُ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «إِدْخَالُكَ السُّرُورَ عَلَيَّ مُؤْمِنٍ، أَشْبَعْتَهُ مِنْ جُوعٍ، كَسَوْتَهُ مِنْ عُرْيٍ، قَضَيْتَ لَهُ حَاجَةً، أَعْنَتَهُ، فَرَجَّتَ لَهُ كَرْبًا بِإِذْنِ رَبِّي»^(٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ دَعْوَةٌ لِلْجُودِ وَالْكَرَمِ» - الْجُمُعَةُ ٤ رَمَضَانَ ١٤٢٦ هـ - ٧-١٠-٢٠٠٥ م.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»: ٣ / ١٦٢، رَقْم (٨٠٧)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السَّنَنِ»: ١ / ٥٥٥، رَقْم (١٧٤٦)، مِنْ حَدِيثِ: زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَالحَدِيثُ صَحْحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»: ١ / ٦٢٣، رَقْم (١٠٧٨).

(٢) «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: ١ / ٥٥، رَقْم (١٢)، وَ «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: ١ / ٦٥، رَقْم (٣٩).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ»: ٥ / ٢٠٢، رَقْم (٥٠٨١)، وَفِي «الْمَعْجَمِ الصَّغِيرِ»: ٢ / ١٠٦، رَقْم (٨٦١).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»^(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحِينَ».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ صَدَقَةٌ أَكْبَرُ مِنْ مَاءٍ»^(٢). رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

يَخْفِرُ بَرًّا، يَجْعَلُ لِلنَّاسِ صُنُبورًا فِي سَبِيلِ، يُبْذَلُ الْمَاءُ لِابْنِ السَّبِيلِ وَالْعَطْشَانِ.
سَقَى الْمَاءِ؛ حَتَّى وَلَوْ لِلْكَلابِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ لِلْكَلبِ الضَّالِّ؛ فِيهِ أَجْرٌ عِنْدَ
الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ.

وَتَلَوُّثُ الْمِيَاهِ شَائِعٌ ذَائِعٌ لَا يَخْفَى، وَتَدَبُّ بِسَبَبِهِ أَمْرَاضٌ تَفْتِكُ بِالْأَجْسَادِ
وَتَفْرِيهَا فَرِيًّا، فَمَنْ شَارَكَ أَوْ صَنَعَ لَهُمْ صَنِيعًا؛ لِيَكُونَ مَاؤُهُ بَعِيدًا عَنِ هَذَا التَّلَوُّثِ؛
فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْحَدِيثِ، وَقَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِهِ عَبْدٌ إِلَى اللَّهِ. (*)

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١ / ٥٦٤ رقم (٩٥٤) و ٢ / ٤٨٠ و ٧٠٨ رقم (٢٠٩٠ و ٢٦٢١)، وروي نحوه عن ابن عمر وجابر وابن عباس رضي الله عنهم، وعن أبي شريح مرسلًا.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٥ / ١١٣، رقم (٢٤٦٦)، ومسلم في «الصحيح»: ٤ / ١٧٦١، رقم (٢٢٤٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ».

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل»: ٩ / ١١٥، ترجمة (٢١٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: ٥ / ٦٧ و ٦٨، رقم (٣١٠٦)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ١ / ٥٦٦، رقم (٩٦٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ كَيْفَ نَحْيَاهُ؟»: الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ / ٣ / ٨ / ٢٠١٢م.

عِبَادَ اللَّهِ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَامَ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَنْظُرُ الْمَرْءَ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، وَيَنْظُرُ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ؛ فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ (١).

يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ! يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ!! (٢).

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَنَا، وَارْزُقْنَا الْجُودَ وَالْكَرَمَ؛ وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ. (*)



(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ١٣ / ٤٧٤، رقم (٧٥١٢)، ومسلم في «الصحیح»: ٢ /

٧٠٣ و ٧٠٤، رقم (١٠١٦)، من حديث: عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكَلِمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

وفي رواية لمسلم: ٢ / ٧٠٣: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ»، وللبخاري: ١٠ / ٤٤٨، رقم (٦٠٢٣): «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

(٢) أخرج الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم»: ٣ / ٢١١، رقم (٨٥٢)، والذهبي في

«سير أعلام النبلاء»: ٧ / ٣٩٤، ترجمة (١٤٢)، بإسناد صحيح، عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ، قَالَ: «أَيُّ دِينٍ أَيْ دِينٍ، لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ؟!».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانُ دَعْوَةٌ لِلْجُودِ وَالْكَرَمِ» - الْجُمُعَةَ ٤ رَمَضَانَ ١٤٢٦ هـ -

رَمَضَانُ شَهْرُ الْإِنْتِصَارَاتِ وَالْأَحْدَاثِ الْعَظِيمَةِ

لَقَدْ شَهِدَ شَهْرُ رَمَضَانَ الْعَدِيدَ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْفَارِقَةِ فِي مَسِيرَةِ التَّارِيخِ
الْإِنْسَانِيِّ عَامَّةً، وَالْإِسْلَامِيِّ خَاصَّةً، وَمِنْ ذَلِكَ:

* بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَنَزُولِ الْوَحْيِ فِي رَمَضَانَ:

إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الْأَحْدَاثِ الْجِسَامِ وَالْإِنْتِصَارَاتِ الْعِظَامِ، وَمِنْ
أَكْبَرِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي شَهِدَهَا الْعَالَمُ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَهَا: بَدَأَ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَدْ بَدَأَ ذَلِكَ النَّزُولُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ اعْتَادَ فِي رَمَضَانَ
مِنْ كُلِّ عَامٍ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى غَارِ حِرَاءٍ بِمَكَّةَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَحَنَّثَ اللَّيَالِي ذَوَاتِ
الْعَدَدِ، وَكَانَ يَأْخُذُ مَعَهُ ﷺ مَا تَيْسَّرَ مِنْ زَادٍ.

فَإِذَا قَضَى ﷺ وَطَرَهُ مِنْ تِلْكَ الْخُلُوةِ فِي الْغَارِ، وَنَفِدَ مَا مَعَهُ مِنَ الزَّادِ؛ نَزَلَ
إِلَى أَهْلِهِ بِمَكَّةَ؛ لِيَتَزَوَّدَ مَرَّةً أُخْرَى، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَبْدَأَ نَزُولِ الْوَحْيِ
عَلَيْهِ ﷺ، وَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ؛ وَنَبَى النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿أَقْرَأُ﴾ [العلق: ١]، وَكَانَ أَمْرًا عَظِيمًا لَمْ يَشْهَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَا هُوَ بِالْمَعْهُودِ فِي

حَيَاةِ النَّاسِ.

وَفُوجِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْوَحْيِ وَالْمَلَكِ، وَنَزَلَ مِنَ الْغَارِ تَرْتَعْدُ فَرَائِصُهُ، وَهَوَّتْ حَدِيدَجَةٌ ﷺ الطَّاهِرَةُ الْبَرَّةُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ مَا كَانَ، مُقْسِمَةً بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ اللَّهَ لَا يُخْزِيهِ أَبَدًا، مُسْتَدَلَّةٌ عَلَى ذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْ كَرِيمِ الْخِصَالِ وَعَظِيمِ الْفَعَالِ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ الْحَسَنِ، وَمِمَّا كَانَ يَأْتِي بِهِ مِنَ الْمَكْرَمَاتِ، حَيْثُ قَالَتْ ﷺ: «وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا».

ثُمَّ أَخَذَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَقَصَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَيْهِ مَا كَانَ، فَقَالَ وَرَقَةُ -وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، وَقَرَأَ فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَانَ مُتَطَرًّا مَقْدِمَ النَّبِيِّ ﷺ الْخَاتَمِ-، فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ مَا كَانَ، قَالَ: «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، إِنَّهُ النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ فِيهَا جَذَعًا، أَمَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ؛ لَنَصَرْتُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟».

فَقَالَ: «مَا جَاءَ أَحَدٌ قَوْمَهُ بِمِثْلِ مَا آتَيْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي».

ثُمَّ لَمْ يَنْشُبْ أَنْ مَاتَ، وَمَضَى الْوَحْيُ مُتَتَابِعًا (١).

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقُرْآنَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَبَدَأَ الْوَحْيَ الْمَعْصُومُ الَّذِي غَيَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِدْيِهِ الدُّنْيَا كُلَّهَا، وَأَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، بَدَأَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) أخرجه البخاري في (بدء الوحي، ١: ٣، رقم ٣) وفي مواضع، ومسلم في (الإيمان، ٧٣:

١، رقم ١٦٠)، من حديث: عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

فَهَذَانِ مَوْضِعَانِ دَلَّ فِيهِمَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَدَأَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَهَذَا الْحَدِيثُ الْفَرِيدُ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا كَانَ فَارِقًا بَيْنَ عَهْدَيْنِ؛ بَيْنَ مَا قَبْلَ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ رِسَالَةَ الرَّسُولِ ﷺ هِيَ آخِرُ رِسَالَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَالرَّسُولُ ﷺ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً فِي عُمُومِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَإِلَى الْجِنِّ كَذَلِكَ، فَهَذَا حَدِيثُ الْأَحْدَاثِ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ؛ نَبِيٌّ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﷺ، وَبَدَأَ نَزُولَ الْوَحْيِ فِي رَمَضَانَ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبَعْتَةِ؛ تُوْفِّيَ عَمَّهُ، وَتُوْفِيَتْ زَوْجُهُ خَدِيجَةُ -رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا-، وَصَافَتْ مَكَّةَ بِالْدَّعْوَةِ، وَأَجْمَعَ أَهْلُهَا عَلَى الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَمُعَادَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَلَمَّسُ مَجَالًا جَدِيدًا لِيَتَمْتَحَهُ الدَّعْوَةُ بِنُورِهَا، وَلِتُنَشَرَ فِيهِ هِدَايَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ؛ وَعَظَّمَ أَهْلُهَا مِنْ ثَقِيفٍ، وَعَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ الدَّعْوَةَ عَلَى ثَلَاثَةِ مِنْ سَادَتِهَا؛ وَهُمْ: عَبْدُ يَالِيلَ بْنِ عَمْرٍو، وَأَخُوهُ حَبِيبٌ وَمَسْعُودٌ، فَكَانُوا بَيْنَ مُكْذِبٍ وَسَاخِرٍ.

قَالَ أَحَدُهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُ يَمْزُقُ أَسْتَارَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَهُ».

وَقَالَ الْآخَرُ: «إِنْ كَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَكَ؛ فَأَنْتَ أَجَلٌ فِي عَيْنِي مِنْ أَنْ أَكَلِّمَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَأَنْتَ أَقْلٌ مِنْ أَنْ أَكَلِّمَكَ، فَلَا أَكَلِّمَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

وَأَمَّا الثَّالِثُ؛ فَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: «أَلَمْ يَجِدِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَيْرَكَ لِيُرْسِلَهُ؟!». .

وَأَبَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدْ سَلَطُوا عَلَيْهِ الْغُلَمَانَ وَالسُّفَهَاءَ، فَقَذَفُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى دُمِّيَتْ عَقْبُهُ ﷺ.

والتَّجَأَ إِلَى ظِلِّ حَائِطٍ لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَلَدَيْ رَبِيعَةَ وَقَدْ عَطَفْتَهُمَا عَلَيْهِ الرَّحِمُ، فَأَرْسَلَا عَدَّاسًا - وَكَانَ غَلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيًّا - بِقُطْفٍ مِنْ عِنَبٍ، وَأَبَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ يَقَعَ الْأَعْتَذَارُ لِلرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبَارِحَ، فَذَهَبَ عَدَّاسٌ بِالْعِنَبِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَهْوَى إِلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ؛ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ».

فَقَالَ عَدَّاسٌ: هَذَا شَيْءٌ لَمْ أَسْمَعُهُ قَطُّ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟».

فَقَالَ: مِنْ نَيْنَوَى.

قَالَ: «مِنْ بَلَدِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟».

فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ بِيُونُسَ؟

قَالَ: «هُوَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا، وَأَنَا نَبِيٌّ» (١).

فَأَهْوَى عَدَّاسٌ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ مُقْبَلًا، وَعَادَ إِلَى سَيِّدِيهِ؛ فَقَالَا:

وَيَحْكُ يَا عَدَّاسُ؛ مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ مَعَ الرَّجُلِ؟

(١) «السيرة» لابن هشام (١ / ٤١٩ - ٤٢١).

قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ﷺ.

فَهَكَذَا كَذَبَتْ ثَقِيفٌ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ دَاعِيًا؛ فَلَقِيَتْهُ بِكُلِّ سُوءٍ؛ حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ وَجَدْتَ مِنْ قَوْمِكَ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمِ أَحَدٍ؟».

قَالَ ﷺ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَأَشَدُّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا ذَهَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ لِدَعْوَةِ ثَقِيفٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَكَانَ مِنْهُمْ مَا هُوَ مَعْلُومٌ».

قَالَ: فَذَهَبْتُ مَغْمُومًا، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَسَمِعْتُ حِسًّا فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ جِبْرِيلُ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ عَلِمَ مَا قَالَ لَكَ قَوْمُكَ وَمَا صَنَعُوا، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ، فَإِنْ

شِئْتَ أَنْ يُطَبَّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ فَعَلْ (١).

فَقَالَ ﷺ: لَا، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢).

(١) أخرجه البخاري في (بدء الوحي، ٧: ٨، رقم ٣٢٣١)، وفي (التوحيد، ٩: ٣، رقم ٧٣٨٩) مختصراً، ومسلم في (الجهاد، ٣٩: ٥، رقم ١٧٩٥)، من حديث: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي آخره: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

(٢) أخرجه البخاري في (أحاديث الأنبياء، ٥٤: ١٤، رقم ٣٤٧٧)، وفي (استتابة المرتدين، ٥، رقم ٦٩٢٩)، ومسلم في (الجهاد، ٣٧: ٦، رقم ١٧٩٢)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانِي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَرَبَهُ قَوْمُهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

* غَزْوَةُ بَدْرِ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ:

وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: نَمَا إِلَى عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ فِي عَيْرٍ عَظِيمَةٍ، وَقَافِلَةٌ كَبِيرَةٌ، وَمَالٌ وَفَيْرٌ، وَرِزْقٌ غَزِيرٌ قَدْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ أَرْسَلَ، فَلَمْ يُدْرِكْ.

ثُمَّ نَمَا إِلَى عِلْمِهِ ﷺ بَعْدُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَافِلٌ بِالْقَافِلَةِ، فَأَرَادَ الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ، وَأَرْسَلَ رَجُلَيْنِ عَلَى بَعِيرَيْنِ مِمَّا يُعْلَفُ بِعَلَائِفِ يَثْرِبَ، فَخَرَجَا. وَأَمَّا أَبُو سُفْيَانَ؛ فَقَدْ كَانَ أَرِيْبًا حَصِيْفًا رَضِيْعًا ﷺ، فَذَهَبَ إِلَى مَجْدِيِّ، فَسَأَلَهُ: هَلْ رَأَيْتَ مَا يُرِيْبُ؟

قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ قَدْ أَنَاخَا بَعِيرَيْهِمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

فَذَهَبَ أَبُو سُفْيَانَ رَضِيْعًا ﷺ، فَفَتَّ الْبَعْرُ؛ فَوَجَدَ النَّوْىَ -نَوَى يَثْرِبَ-، فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَنَا لِبِالْمِرْصَادِ، وَأَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ أَنْ أَدْرِكُوا عَيْرَكُمْ، وَخَالَفَ هُوَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَجَعَى.

وَنَدَبَ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحَابَهُ لِلْخُرُوجِ لِلْعَيْرِ لَا لِلنَّفِيرِ، فَخَرَجَ مَعَهُ ثَلَاثِمِئَةً وَبِضْعَةَ عَشْرٍ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيْعًا ﷺ، جُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَمْ يَعْزَمْ عَلَيْهِمْ فِي الْخُرُوجِ، وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَجِدُ قِتَالًا، وَلَوْ ظَنُّوا ذَلِكَ مَا تَخَلَّفَ عَنْهُ وَاحِدٌ، وَلَفَدَوْهُ بِأَرْوَاحِهِمْ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-.

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَتَعَرَّضَ لِلْعَيْرِ؛ لِيُرَدَّ بَعْضُ مَا سَلِبَ مِمَّا نَهَبَتْ قُرَيْشٌ وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَبْقَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا مِنْ مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ؛ حَتَّى قَالَ

الرَّسُولُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ بِمَكَّةَ فَاتِحًا، فَلَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَنْزِلُ فِيهِ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: فَلْتَنْزِلْ فِي دَارِكَ وَدَارِ أَبِيكَ.

فَقَالَ ﷺ: «وَهَلْ أَبْقَى لَنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ؟!» (١).

فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِمَكَّةَ دَارٌ - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ -، فَنَزَلَ عِنْدَ أُمِّ هَانِيٍّ.

إِذْنًا، النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا خَرَجَ لِيُرِدَّ بَعْضَ مَا سُلِبَ مِنْ ثَرَوَاتِ قُرَيْشٍ الَّتِي نَهَبَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا كَانَ فِي هَذَا مِنْ عَابٍ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي فِعْلِهِ مِنْ تَثْرِيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ رَدٌّ لِبَعْضِ الْحَقِّ السَّلْبِ.

وَأَبَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ يَلْقَى ﷺ النَّفِيرَ، وَأَلَّا يَلْقَى الْعِيرَ وَمَعَهُ هَذِهِ الثَّلَاةُ الْمُبَارَكَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -.

نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَدْرًا، وَأَمَّا قُرَيْشٌ؛ فَإِنَّهَا أَعَدَّتْ عُدَّتَهَا، وَجَاءَتْ لِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَدْرَكَهُمْ الْبَشِيرُ؛ أَرْسَلَهُ أَبُو سُفْيَانَ: أَنْ اللهُ قَدْ نَجَّى عَيْرَكُمْ، وَحَفِظَ عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ؛ فَلَا تَخْرُجُوا لِلِقَاءِ مُحَمَّدٍ وَحِزْبِهِ ﷺ.

فَقَالَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَبُو جَهْلٍ: «وَاللهُ لَا نَعُودُ حَتَّى نَنْزَلَ بَدْرًا، حَتَّى نُوقِدَ النَّيْرَانَ، وَنُنَحَرَ الْجُزْرَ، وَتَعْرِزَ عَلَيْنَا الْقِيَانَ، وَحَتَّى تَسْمَعَ بِنَا الْعَرَبِ، فَمَا يَزَالُونَ فِي هَيْبَةٍ مِنَّا أَبَدًا».

(١) أخرجه البخاري في (الحج، ٤٤، رقم ١٥٨٨)، ومسلم في (الحج، ٨٠، رقم ١٣٥١)، من حديث: أسامة بن زيد رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، أين تنزل في دارك بمكة؟ فقال: «وهل ترك عقيلاً من ربيع أو دوير»، وكان عقيلاً ورث أبا طالب هو وطالب، ولم يرته جعفر ولا علي رضي الله عنهما، شيئاً لانهما كانا مسلمين، وكان عقيلاً وطالب كافرين.

وَأَبَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ بِهِمُ الْعَرَبُ؛ بَلْ أَبِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ بِهِمُ الدُّنْيَا إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ، وَبَدَلْ أَنْ يَنْحَرُوا الْجُزْرَ؛ نُحِرُوا هُمْ، وَبَدَلْ أَنْ تَعْرِفَ عَلَيْهِمُ الْقِيَانَ؛ نَاحَتْ عَلَيْهِمُ النَّوَائِحُ، وَبَدَلْ أَنْ يُوقِدُوا النَّيْرَانَ؛ أَوْقَدَتْ لَهُمُ النَّيْرَانَ: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

أَبَوْا أَنْ يَعُودُوا، وَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا كَانَ، وَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَتَكَلَّمَ الْمُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا، وَهُوَ يَقُولُ ﷺ: «أَلَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ؟».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «كَأَنَّكَ تَعْنِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ، لَمْ يَشْطَرِ عَلَيْهِمْ حِمَايَتَهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ، وَكَانَ عِبَاءُ الْمَعْرَكَةِ إِنْ وَقَعَتْ سَيَكُونُ عَلَى كَوَاهِلِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لِكثْرَةِ الْعَدَدِ، ثُمَّ هُمْ لَمْ يُعْطُوا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَيْعَةِ بِحِمَايَتِهِ خَارِجَ مَدِينَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ.

فَقَامَ سَعْدٌ، فَقَالَ: «كَأَنَّكَ تَعْنِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَلٌ».

فَقَالَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَاللَّهِ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ؛ لَخُضْنَاهُ خَلْفَكَ، اِمْضِ لِمَا تَحِبُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَصُدُقٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَوَاللَّهِ إِنَّا لَشُجْعَانٌ فِي الْحُرُوبِ... إِلَى آخِرِ مَا قَالَ»، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

(١) «السيرة» لابن هشام (١ / ٦١٥).

وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةٌ حَاسِمَةً فَاصِلَةً فِي تَارِيخِ المُسْلِمِينَ، وَسُمِّيَتْ بِيَوْمِ الفُرْقانِ؛ حَيْثُ فَرَقَتْ بَيْنَ زَمَنِ الاسْتِضعافِ، وَزَمَنِ قُوَّةِ المُسْلِمِينَ، فَرَقَتْ بَيْنَ الحَقِّ وَالباطِلِ، وَلا ضَيْرَ فَهِيَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ، شَهْرِ الفُرْقانِ.

وَدَائِمًا تَكُونُ الأَحداثُ عَلَيَ هَذَا النِّحوِ: فَسادُ يَسْتَشْري فِي العالِمِ، وَمُفسِدُونَ يَتَسَلَطُونَ عَلَيَ أَقْواتِ النَّاسِ وَأَرْواقِهِمْ، وَعَلَيَ مُسْتَقْبَلِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ، يُبَدِّلُونَ وَجَهَ الحَيَاةِ المُشْرِقِ، وَيَسْتَعْبِدُونَ الخَلْقَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَرَكَّبُونَ أَكتافَ النَّاسِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ وَلا حَقٍّ، ثُمَّ تَأْتِي إِرادَةُ التَّغْيِيرِ، لا إِرادَةُ التَّدْمِيرِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْيِرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يَغْيِرُوا ما بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وَكَانَتْ فُرْقانًا فِي تَارِيخِ العالِمِ كُلِّهِ، فُرْقانًا بَيْنَ عَهْدِ مَضَى وَعَهْدِ بَقِيَ، لا يَعْلَمُ إِلا اللَّهُ مَتَى يَنْقِضِي!

كَانَتْ فُرْقانًا كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ رَبُّ العالَمِينَ وَوَصَفَ يَوْمَهَا، فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ، فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَارَتْ رَحَى الحَرْبِ الصَّروسِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَلَاثُمِئَةٌ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمَا مَعَهُمْ إِلا القَلِيلُ مِنَ الظَّهْرِ، فَكانَ الثَّلاثَةُ وَالأَكْثَرُ يَتَعاقَبُونَ عَلَيَ البَعِيرِ الواحِدِ مَرَّحَلَةً وَمَرَّحَلَةً، ثُمَّ فليَمُضِ البَعِيرُ هانِئًا مَرَّحَلَةً؛ رَحْمَةً وَشَفَقَةً وَعَدَلًا لا جَوْرَ فِيهِ وَلا ظَلَمَ يَلْحَقُهُ، وَبِهِ يَنْصُرُ اللَّهُ رَبُّ العالَمِينَ النَّاسَ.

دَارَتْ رَحَى المَعْرَكَةِ بَيْنَ هَذِهِ الثَّلَاةِ المُبارَكَةِ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَلْفٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، خَرَجُوا لِلِقَاءِ، وَخَرَجُوا لِلنِّزالِ، وَأَمَّا أَصْحابُ رَسُولِ اللَّهِ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّمَا خَرَجُوا لِلْعِيرِ، وَلَمْ يَخْرُجُوا لِلنَّفِيرِ، وَمَا اتَّخَذُوا لِلْأَمْرِ عُدَّةً، وَمَا أَعَدُّوا لَهُ أَهْبَةً، وَإِنَّمَا خَرَجُوا خُرُوجًا يَسِيرًا لَمْ يَعِزْمُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ أَنْ يَخْرُجُوا، وَلَا أَنْ يَكُونُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِحَرْبٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ نَصَرَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ نَاصِرُ حِزْبِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُعَلِّي كَلِمَتَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَرْفَعُ رَايَةَ الْحَقِّ، وَهُوَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ نَصَرَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاصِرُ مَنْ نَصَرَهُ، وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْرَعُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَتَوَجَّهُ مُبْتَهَلًا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالِدَعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ -؛ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ» (١).

وَالْكَفَّارُ يَسْتَفْتِحُونَ: «اللَّهُمَّ عَلَيَّ أَقْطَعِنَا لِلرَّحِمِ، وَعَلَيَّ مَنْ آتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، وَعَلَيَّ أَبْعِدْنَا مِنَ الْحَقِّ دِينًا» (٢)، يَسْتَفْتِحُ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ الْكَافِرُونَ، وَيَسْتَفْتِحُ بِهِ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَلَكَ أَنْ تَعْجَبَ الْعَجَبَ كُلَّهُ مِنْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ!!

فَمَنْ الَّذِي قَطَعَ الرَّحِمَ؛ أَهْوَأُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

(١) أخرجه مسلم في (الجهاد، ١٨، رقم ١٧٦٣)، من حديث: ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١ / ٦٢٨)، وأحمد في «المسند» (٥ / ٤٣٢، رقم

٢٣٦٦١، و٢٣٦٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (رقم ١١١٣٧)، من طرق: عن الزُّهْرِيِّ،

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ، قَالَ: «كَانَ الْمُسْتَفْتِحُ يَوْمَ بَدْرٍ أَبُو جَهْلٍ، وَإِنَّهُ قَالَ حِينَ

التَّقَى الْقَوْمَ: اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ، وَآتَى لِمَا لَا نَعْرِفُ فَافْتَحِ الْعَدَّ، وَكَانَ ذَلِكَ

اسْتِفْتَا حَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

وَمَنْ الَّذِي هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا وَأَقْوَمُ قِيْلًا؛ أَهْوَأَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟!
 وَمَنْ هُوَ الَّذِي هُوَ أَسَدُ دِعَايَةٍ، وَالَّذِي هُوَ أَقْوَمُ سَبِيلًا؛ أَهْوَأَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟!
 وَاللَّهُ ﷻ؟!

نَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَأَعَزَّ حِزْبَهُ، وَنَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 الْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ، فَذَبَحُوهُمْ ذَبْحًا، وَأَسْرُوا مِنْهُمْ سَبْعِينَ، وَعَادُوا ظَافِرِينَ
 مُظْفَرِينَ، وَعَادَتْ قُرَيْشٌ تَنْدِبَهَا نَوَادِبَهَا، وَتَنَوَّحَ عَلَيْهَا نَوَائِحُهَا، وَتَبَكَّى دَمًّا، وَأَعَزَّ
 اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ

* فَتْحُ مَكَّةَ وَتَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ فِي رَمَضَانَ:

وَمِنَ الْأَحْدَاثِ الْفَاصِلَةِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ:
 فَتْحُ مَكَّةَ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ فِي طَرِيقِهَا، وَفَتَحَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَكَّةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
 وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَدَخَلَ
 النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ ظَافِرًا وَمُنْتَصِرًا، وَعَابَدًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَاشِعًا وَمُنِيئًا، وَطَافَ
 بِالْبَيْتِ، وَكَانَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ صَنَمٌ لِقُرَيْشٍ مِنْ عَقِيْقِ أَحْمَرَ، وَقَدْ كُسِرَتْ يَدُهُ
 الْيُمْنَى؛ فَجَعَلُوا مَكَانَهَا يَدًا مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ كَبِيرَ آلِهِتِهِمْ، وَهُوَ هُبْلٌ.

فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَصْنَامِ، فَجُمِعَتْ خَارِجَ الْبَيْتِ بَعْدَ أَنْ طَافَ ﷺ وَمَعَهُ
 رُمْحٌ قَصِيرٌ، فَكَانَ يَطْعَنُ بِرُمُوحِهِ ﷺ فِي أَعْيُنِ الْأَصْنَامِ وَفِي أَوْجُهِهَا؛ فَتَخَرَّتْ تَحْتَ
 قَدَمَيْهِ ﷺ، وَكَانَ فِي رَمَضَانَ هَذَا الْحَدَثِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ تَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ.

حُطِّمَتِ الْأَصْنَامُ فِي رَمَضَانَ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا، فَأُخْرِجَتْ خَارِجَ الْبَيْتِ، ثُمَّ أُضْرِمَتْ فِيهَا النَّيِّرَانُ، وَفِي السَّنَةِ نَفْسِهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ هَدَمَ مَنَاةَ وَالْعَزْرَى وَسَوَاعًا.

فَالنَّبِيُّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي رَمَضَانَ فَاتِحًا وَظَافِرًا ﷺ، وَعَلَا صَوْتُ الْأَذَانِ يُعْلِنُ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ، أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَأَكْبَرُ مِنَ الْأَعْرَافِ وَالتَّقَالِيدِ، وَأَكْبَرُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، يُعْلِنُهَا بِلَالٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ- فَوْقَ الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ.

فَتَحَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَكَّةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحُطِّمَتِ الْأَصْنَامُ، ثُمَّ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مَنْ هَدَمَ اللَّاتَ، وَخَلَّتِ الْجَزِيرَةُ مِنْ شِرْكِهَا، وَأَقْفَرَتِ الدِّيَارُ مِنْ أَصْنَامِهَا، وَعَبَدَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

* حَفْرُ النَّبِيِّ ﷺ الْخَنْدَقِ فِي رَمَضَانَ:

فَفِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّحَابَةُ ﷺ يَحْفَرُونَ الْخَنْدَقَ؛ اسْتِعْدَادًا لِمَا يَكُونُ مِنْ قُدُومِ قُرَيْشٍ وَأَحْلَافِهَا غَازِيَةً مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّا غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ نَفْسِهَا؛ فَقَدْ وَقَعَتْ فِي شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ عَيْنِهَا.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْأَسْتِعْدَادِ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَالرَّسُولُ يَحْمِلُ فِي ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى عَاتِقِهِ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ ﷺ؛ حِيَاةً لِدِينِهِ، وَنُصْرَةً لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَنَصَرَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَكَانَ يَرُدُّدُ:

وَاللَّهُ لَوْ لَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا
وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَتَبَّتْ الْأَقْدَامُ إِنْ لَا فِينَا (١)

وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ يُحْفَظُهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَعَمَلِ الْخَيْرِ؛ حَتَّى رَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَيْدَ
الْمُشْرِكِينَ فِي نُحُورِهِمْ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ؛ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

فَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارِكِ وَقَعَتْ أَحْدَاثٌ جِسَامٌ، وَمِنْ أَهْمَمَهَا: فَتْحُ
الْأَنْدَلُسِ، ذَلِكَ الْفِرْدَوْسُ الْمَفْقُودُ.

* فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ فِي رَمَضَانَ:

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ وَالْتَّسْعِينَ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ: فَتَحَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ الْأَنْدَلُسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُرْسَلًا مِنْ قَبْلِ
مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، فَفَتَحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَتَحَهُ.

وَكَانَتْ خُطَّةُ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ يَكُونَ الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ بَحِيرَةً إِسْلَامِيَّةً،
فَذَهَبُوا غَازِينَ إِلَى قُبْرَصَ، ثُمَّ كَانُوا مُرِيدِينَ عَلَى نِيَّةِ الْإِضْعَادِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ
يَكُونُوا ذَاهِبِينَ فِي غَرْبِ أُرْبَةِ، ثُمَّ فَلْيَلْقَهُمْ مَنْ يَأْتِي مُشْرِقًا مِنْ قَبْلِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ
غَزْوِ فَرَنْسَا، وَكَانُوا عَلَى مَشَارِفِ جَنُوبِهَا؛ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْ لَهَا الْهُدَايَةَ، فَظَلَّتْ
سَادِرَةً فِي كُفْرِهَا، وَفِي عَمَائِيَّتِهَا، وَفِي ضَلَالِهَا وَشُرْكِهَا، وَلَمْ يَأْذَنْ لَهَا رَبُّنَا
تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِخَيْرٍ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْجِهَادِ، ٣٤: ٢، ٣، رَقْمَ ٢٨٣٦، وَ ٢٨٣٧)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْجِهَادِ،

٤٤: ١، رَقْمَ ١٨٠٣)، مِنْ حَدِيثِ: الْبِرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَتَحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَفْرِيْقِيَّةً فِي شَمَالِهَا جَمِيعَهُ؛ حَتَّى جَاؤُوا الْعُدُوَّةَ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، فَفَتَحُوهَا بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، كَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَمِنْ الْأَحْدَاثِ الْجَسَامِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: مَوْقِعَةُ مَرْجِ الصُّفْرِ، وَمَوْقِعَةُ عَيْنِ جَالُوتَ.

* مَوْقِعَةُ مَرْجِ الصُّفْرِ، وَعَيْنِ جَالُوتَ فِي رَمَضَانَ:

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ مِنْ هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ: كَانَتْ «مَوْقِعَةُ مَرْجِ الصُّفْرِ» أَوْ «مَوْقِعَةُ شَقْحَبَ» الَّتِي كَانَ فِيهَا النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونٍ، وَالْخَلِيفَةُ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ، وَكَانَ مَعَهُمَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً-، فَبَدَّدُوا جُمُوعَ التَّتَارِ، وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَنَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ نَصْرًا عَزِيزًا مُؤَزَّرًا.

وَقَبْلَ ذَلِكَ فَتَحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَتْحًا عَظِيمًا، فِي «عَيْنِ جَالُوتَ» نَصَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّتَارِ؛ فَانْحَسَرَتْ مَوْجَةُ الْهَمْجِيَّةِ وَالْفَوْضَى عَلَى صَخْرَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمَةِ بِجُنْدِ الشَّامِ وَجُنْدِ مِصْرَ، فَبَدَّدُوهُمْ كُلَّ مُبَدَّدٍ، وَشَتَّتُوهُمْ كُلَّ مُشْتَّتٍ، وَمَزَّقُوهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَمَنْ نَجَا مِنَ الْقَتْلِ أُسِرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ عَبْدًا ذَلِيلًا، فَحَسَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تِلْكَ الْمَوْجَةَ، وَكُلَّ ذَلِكَ كَانَ وَقِيعًا فِي رَمَضَانَ تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ.

لَمْ يُنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ قَطُّ إِلَّا تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى فِي هَذَا كُلِّهِ: أَنَّهُ إِذَا تَسَلَّطَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُفْسِدِينَ... مِنَ الْمُشْرِكِينَ الصَّالِحِينَ عَلَى

مَقَالِيدِ الْأَمْرِ فِي الْأُمَّةِ؛ أَنْ تَصِيرَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مِنَ الْمُفْسِدِينَ الْمُجْرِمِينَ الضَّالِّينَ، بَلْ كَانَتْ الْأُمَّةُ تُحَافِظُ عَلَى نَقَائِهَا، ثُمَّ يَذْهَبُ هَذَا الْخَبْتُ بَعِيدًا إِذَا مَا عَلَا صَوْتُ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ دَائِمًا وَأَبَدًا.

* حَرْبُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، آخِرُ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ:

حَتَّى فِي آخِرِ مَا شَهِدَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الْعَصْرِ: فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثٍ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الْعَاشِرِ مِنْهُ: (١٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٣٩٣ هـ)، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِلْسَّادِسِ مِنَ الشَّهْرِ الْعَاشِرِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَتِسْعٍ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ التَّارِيخِ النَّصْرَانِيِّ (١٠/١٩٧٣): لَمَّا رُفِعَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ، وَعَلَتْ كَلِمَةُ التَّكْبِيرِ؛ نَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَمْ يُنْصَرُوا إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلَنْ يُنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَلَا فِي أَيِّ زَمَانٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ، وَلَنْ تَكُونَ لَهُمْ شَوْكَةٌ، وَلَنْ تُسْمَعَ لَهُمْ كَلِمَةٌ، وَلَنْ تُرْفَعَ لَهُمْ رَايَةٌ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَبِالتَّوْحِيدِ الْكَرِيمِ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثٍ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «فِي ١٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٣٩٣ هـ»: رَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَعَلَى الْمِصْرِيِّينَ وَجُنْدِ الشَّامِ خَاصَّةً بَعْضَ الْكَرَامَةِ السَّلْبِيَّةِ، وَأَعَزَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دِينَهُ، وَنَصَرَ جُنْدَهُ لَمَّا فَاءَ النَّاسُ إِلَى الْحَقِّ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ.

الأسباب الحقيقية لنكسة عام (١٩٦٧م)

لَقَدْ كَانَ الَّذِينَ عَلَى الْأَمْرِ قَبْلُ قَدْ عَاثُوا فِي الْأَرْضِ فِسَادًا، وَتَحَوَّلَتْ سِهَامُهُمْ إِلَى نُحُورِ أَبْنَاءِ شَعْبِهِمْ، فَسَامُوهُمْ الْخَسْفَ، وَأَذَلُّوهُمْ، وَشَرَّدُوهُمْ كُلَّ مُشَرَّدٍ، وَأَنْزَلُوا بِهِمْ سُوءَ الْعَذَابِ، أَبِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ يُرِيَهُمْ بَعْضَ الَّذِي وَعَدَهُمْ، وَأَوْعَدَهُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

أَبِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا أَنْ يَشْرَبُوا كَأَسَا مُتْرَعَةً مِنَ الدَّلِّ فِي الْحَيَاةِ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَكَانُوا لِسُوءِ التَّدْبِيرِ قَدْ صَاحُوا بِكُلِّ فَجٍّ أَنَّهُمْ سَوْفَ يُلْقَوْنَ الْيَهُودَ فِي الْبَحْرِ، وَأَنَّهَا شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ مُسْتَضْعَفَةٌ لَا يُؤْبَهُ لَهَا، وَأَنَّهَا لَا تَثْبُتُ عَلَى النَّفْخِ لَا عَلَى الْجِلَادِ وَالْحَرْبِ.

ثُمَّ دُفِعَ بِالْجَيْشِ الْمَصْرِيِّ وَجُنْدِهِ مِنْ خَيْرِ أَجْنَادِ الْأَرْضِ؛ مَا هَزَمُوا مِنْ خَوْرٍ وَلَا ضَعْفٍ، وَإِنَّمَا يُؤْتُونَ بِالْغَدْرِ وَيُؤْخَذُونَ بِالْخِيَانَةِ، كَانُوا قَدْ دَفَعُوا بِالْجَيْشِ الْبَاسِلِ إِلَى الصَّحَرَاءِ الْمَكْشُوفَةِ، كَأَنَّمَا يُرْهَبُونَ عَدُوَّهُمْ، وَكَأَنَّمَا يَسْتَدِرُّونَ الْعَطْفَ مِنْ أُمَّمِ الْأَرْضِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَحِيقَ بِالشَّرْذِمَةِ الطَّاغِيَةِ مِنْ يَهُودِ سُوءِ

العَذَابِ، هَكَذَا قَدَّرُوا؛ لِأَنَّ الْغَوَايَةَ كَانَتْ سَادِرَةً، وَلِأَنَّ تَحْوِيلَ الْمُجْتَمَعِ مِنْ دِينِهِ، وَمِنْ هُوَيْتِهِ الْأَصِيلَةَ كَانَ مُرْتَبًّا وَمُنْظَمًا - أَلَا سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ -.

عِنْدَمَا تَحِيدُ الْأُمَّةُ عَنِ مِنْهَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عِنْدَمَا يَصِيرُ الْمُجْتَمَعُ مُسْتَنْفَعًا كَبِيرًا تَرْتَعُ فِيهِ نَوَازِعُ الرَّذِيلَةِ، وَتَنْطَلِقُ فِيهِ الشَّهَوَاتُ مِنْ عُقْلِهَا، وَلَا تَجِدُ فِيهِ مَكَانًا تَحْمِي فِيهِ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ، وَلَا تَحْمِي فِيهِ مِنَ الْفِتَنِ نَفْسَكَ؛ حَتَّى الْمَسَاجِدَ أَفْسَدُوهَا، وَعَدَوْا عَلَيْهَا فَخَرَّبُوهَا، وَجَعَلُوا فِيهَا مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مَنْ جَهَلُوا، وَمِنْ أَهْلِ الْحِزْبِيَّةِ مَنْ أَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ، فَصَارَتْ كَمَسَاجِدِ ضِرَارٍ، لَا يَجِدُ الْمَرْءُ فِيهَا بُغْيَتَهُ، وَلَا يَلْقَى فِيهَا سَكِينَتَهُ، وَلَا تَسْتَقِرُّ فِيهَا رُوحُهُ عَلَى قَرَارٍ!!

وَقَعَ مَا وَقَعَ؛ مِنْ تَغْيِيبِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالنَّكْبَةِ أَنْ يَخْرِجَ النَّاسَ مِنْ نِدَاءِ بَاطِلٍ بِقَوْلِ قَائِلِهِمْ: «أَمْجَاد! يَا عَرَب! أَمْجَاد!!» إِلَى قَوْلِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»؛ فِيهَا نُصِرَ إِذَا مَا حَقَّقْنَاهَا فِي النُّفُوسِ وَالضَّمَائِرِ وَالْقُلُوبِ، وَكَانَتْ وَقَعًا يُعَاشُ فِي الْحَيَاةِ.



نَصْرُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَشِعَارُ «اللَّهُ أَكْبَرُ»

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَحْفَظَ عَلَيَّ أَرْضَ الْكِنَانَةِ دِينَهَا، وَعَلَى أبنائهم إِسْلَامَهُمْ، وَأَنْ يُعِزَّهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِيَدِي الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَتَحَطَّمَتِ الْأُسْطُورَةُ أُسْطُورَةُ الشَّعْبِ الَّذِي يَدُهُ طَوْلِي، فَمَهْمَا أَرَادَ أَنْ يَصِلَ بِيَدِهِ إِلَيْهِ وَصَلَ.

أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُحَطِّمَ أُسْطُورَةَ الْجَيْشِ الَّذِي لَا يُقَهَّرُ، فَسَيَمَ الْعَذَابَ، وَسَارَ كَالدَّجَاجِ لَا يَجِدُ مَأْوَى، وَقَدْ عَدَّتْ عَلَيْهِ السَّبَاعُ، وَنَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمِصْرِيِّينَ، وَجُنَدَ الشَّامِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، وَحَاقَ بِيَهُودٍ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، وَلَهَا أَخَوَاتٌ إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، وَفَاءُوا إِلَى طَرِيقِ الرُّشْدِ، وَرَفَعُوا رَايَةَ التَّوْحِيدِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ».

وَكَذَبَ مَنْ قَالَ: «إِنَّ يَهُودَ لَمْ تَكُنْ تَخْشَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ النَّكْبَةِ»، فَهَذَا وَهُمْ وَاهِمٌ وَخِيَالٌ عَابَثٌ، إِنَّمَا كَانُوا مِنْهُمْ عَلَى الرَّهْبَةِ، وَالذَّلِيلُ: مَا كَانَ، فَهَذَا مَانِعٌ مَائِيٌّ عَظِيمٌ؛ سُلِّطَتْ عَلَيْهِ أَنْبِيَاءُ النَّبَاةِ، حَتَّى إِذَا مَا بَدَأَ الْمِصْرِيُّونَ فِي الْعُبُورِ لِذَلِكَ الْمَانِعِ الْمَائِيِّ؛ اشْتَعَلَتِ الْقَنَاةُ نَارًا، فَأَعَدُّوا ذَلِكَ، ثُمَّ أَعَدُّوا السَّدَّ التُّرَابِيَّ، وَاجْتِيَازُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِشِبْهِ مُعْجَزَةٍ تَأْتِي مِنْ قَبْلِ مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ «خَطِّ بَارْلَيْف».

وَوَضَعُوا الْعَسْكَرِيَّةَ عَلَى الْمَحَكِّ؛ لِيَنْظُرَ الْعَالَمُ كُلَّهُ إِلَى هَذَا الْجُنْدِ الْمُسْلِمِ
 مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ، وَقَدْ صَدَّ قَبْلُ أَمْوَاجِ الْهَمَجِيَّةِ التَّتْرِيَّةِ، وَأَمْوَاجِ الْفَوْضَى
 الصَّلِيبِيَّةِ، وَكُلُّ غَازٍ أَرَادَ أَنْ يَعْبُرَ إِلَى دِيَارِ الْإِسْلَامِ؛ تَحَطَّمَ عَلَى صَخْرَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
 الْمُبَارَكَةِ، وَبِسَوَاعِدِ أَبْنَائِهَا، تُحَرِّكُهَا عَزَمَاتُ إِيمَانِهَا بِقُلُوبِهَا، بِأَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»،
 وَأَنَّا إِنَّمَا نَدُورُ عَلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ، وَهُمَا حُسْنِيَانِ مَعًا: إِمَّا النَّصْرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ،
 فَجَازُوا تِلْكَ الْمَوَانِعَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَقِفْ فِي وَجْهِهِمْ شَيْءٌ، وَلَا صَدَّهُمْ عَنْ بُغْيَتِهِمْ.

فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ نَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَصَارَ إِخْوَانُ الْقِرَدَةِ
 وَالْخَنَازِيرِ كَعَجُوزٍ تَلْطِمُ مَوْلُوْلَةً، تَسْتَجِدِّي أُمَّمَ الْكُفْرِ الْعِتَادَ وَالسَّلَاحَ وَالْمَثُونَةَ،
 وَهَوْلَاءِ يَرْفَعُونَ شِعَارًا وَاحِدًا: «اللَّهُ أَكْبَرُ».

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَوَانِعِ الْمَاءِ، وَمِنْ مَوَانِعِ التُّرَابِ وَسَوَاتِرِهَا.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ خَطِّ دِفَاعٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الطَّائِرَاتِ وَالذَّبَّابَاتِ، وَالْمَدَافِعِ وَالصَّوَارِيخِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ عَادٍ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أُمَّمِ الْكُفْرِ كُلِّهَا.

فَكَانَ النَّصْرُ، وَهُوَ دَرْسٌ مَطْرُوحٌ كَانَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَمَا زَالَ دَرْسًا

مَطْرُوحًا إِلَى الْيَوْمِ، وَسَيَظَلُّ، فَهَلْ مِنْ مُسْتَفِيدٍ؟!



أَسْبَابُ نَصْرِ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ

كَانَتْ مَوْقِعَةً مِنَ الْمَوَاقِعِ الظَّافِرَةِ، تُعِيدُ إِلَى الْعَالَمِ نَسَائِمَ الْمَاضِي الْبَعِيدِ،
 نَسَائِمَ يَوْمِ بَدْرٍ، نَسَائِمَ يَوْمِ عَيْنِ جَالُوتَ، تُعِيدُ إِلَى الْأُمَّةِ نَسَائِمَ تَرَطَّبُ الْقُلُوبَ،
 وَتَحْنُو عَلَى الْأَفئِدَةِ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ
 وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلِيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَالِبِ.

نَصَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُنْدَهُ، وَكَانَتْ الْأُمَّةُ - وَكُنَّا حَاضِرِيهَا - عَلَى قَلْبِ
 رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَتَعَجَّبُ: كَيْفَ زَالَتِ الْأَحْقَادُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ؟!!

كَيْفَ انْمَحَقَتِ الْأَحْسَادُ فِي ثَانِيَةِ أَوْ أَقَلِّ مِنْهَا؟!!

كَيْفَ صَارَ النَّاسُ قَلْبًا وَاحِدًا نَابِضًا يَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ بِأَكْفِ صَرَاعَةِ نَقِيَّةٍ تَقِيَّةٍ، لَا
 سَارِقَةٍ، وَلَا غَاصِبَةٍ، وَلَا مُرْتَشِيَّةٍ، وَلَا مُلَوَّثَةٍ بِدِمَاءِ تَعْدِيْبِ الْبَشَرِ، وَإِنَّمَا هِيَ
 خَاضِعَةٌ لِلَّهِ تَقِيَّةً، وَهِيَ ذَلِيلَةٌ لِلَّهِ تَقِيَّةً؟!!

كَيْفَ تَحَوَّلَ الْمُجْتَمَعُ كُلُّهُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى قَلْبٍ تَقِيٍّ نَابِضٍ بِالصِّدْقِ،
 وَرُوحٍ مَوْحِدَةٍ نَاطِقَةٍ بِالْحَقِّ؟!!

كَيْفَ تَكَاتَفَ النَّاسُ؟!!

كَيْفَ تَأَزَّرَ النَّاسُ!!؟

كَيْفَ تَعَاوَنُوا وَتَعَاَصَدُوا!!؟

كَيْفَ فَرَعُوا جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ؛ لِيَنْصُرَ جُنْدَهُ؟!!

وَكَانَ الْجُنْدُ بَيْنَ النَّكْبَةِ وَالنَّصْرِ، قَدْ رُبُّوا عَلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَسَارَتْ فِيهِمْ دُعَاةٌ يَدْعُوْنَهُمْ إِلَى دِينِ الْهُدَى وَإِلَى دِينِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَلَّمُوهُمْ مَعَانِي الْجِهَادِ، وَعَرَفُوا مَعْنَى الشَّهَادَةِ وَحَلَاوَةَ الْإِسْتِشْهَادِ، وَلَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يُقَاتِلُ عَنْ أَرْضٍ بِلَا هُوِيَّةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْضُ إِسْلَامِيَّةٌ، إِذَا مَاتَ مُدَافِعٌ عَنْهَا فَقَدْ مَاتَ شَهِيدًا، فَهِيَ أَرْضُ الْإِسْلَامِ.

هِيَ هَذِهِ الْكِنَانَةُ... كِنَانَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ.

تِلْكَ الصَّخْرَةُ الَّتِي تَتَحَطَّمُ عَلَيْهَا أَمْوَاجُ الْغَزَاةِ بِفَضْلِ اللَّهِ.

وَهُمْ مِنْ أَرْقِ النَّاسِ قُلُوبًا، وَمِنْ أَخْشَعِهِمْ نَفُوسًا، وَمِنْ أَنْقَاهُمْ أَفْنِدَةً إِذَا عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَزِمُوهُ، وَقَدْ وَصَّى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ خَاصًّا بِقَطْرِ وَلَا شَعْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ بِجَمِيعِ أَجْنَاسِهَا، وَبِكُلِّ النَّاطِقِينَ بِلُغَتِهِمْ يَشْهَدُونَ أَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، وَكَانَ نَصْرًا عَزِيزًا.

هُوَ دَرْسٌ يُسْتَلْهَمُ.

وَحَادَ مَنْ حَادَ بَعْدُ؛ حَتَّى حُرِقَ الْحَرَمُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ، وَأَعْتَدِي عَلَى الْمُصَلِّينَ

فِيهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!!

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْعَلَ سَجَلَيْنِ؛ وَاحِدًا لِلْإِنْتِصَارَاتِ فِي رَمَضَانَ، وَآخَرَ
لِلْإِنكِسَارَاتِ فِي رَمَضَانَ؛ فَاصْنَعْ؛ وَلَكِنْ مَا هُوَ الْعَامِلُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ هَذَيْنِ
الْأَمْرَيْنِ؟

هُوَ: إِذَا تَمَسَّكْتُمْ بِدِينِ اللَّهِ نَصَرْتُمْ، وَإِذَا خَفْتُمْ قَبْضَتُكُمْ عَلَى دِينِ رَبِّكُمْ
كُسِرْتُمْ وَهُزِمْتُمْ.

وَلَنْ يَعُودَ إِلَيْكُمْ مَجْدُكُمْ وَلَنْ يَحْتَرِمَكُمُ الْعَالَمُ إِلَّا بِتَمَسُّكِكُمْ بِدِينِكُمْ.
وَإِحْتِرَامُ الْعَالَمِ لَكُمْ مَطْلُوبٌ؛ لِأَنَّهِمْ إِنْ لَمْ يَحْتَرِمُواكُمْ؛ فَلَنْ يَسْمَعُوا
دَعْوَتَكُمْ، وَأَنْتُمْ أُمَّةٌ دَاعِيَةٌ إِلَى التَّوْحِيدِ، إِلَى الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، لَيْسَ لَكُمْ قِيَمَةٌ إِلَّا
بِهِ، فَقِيَمَتُكُمْ بِإِسْلَامِكُمْ.

قِيَمَتُكُمْ بِدِينِكُمْ!

قِيَمَتُكُمْ بِتَوْحِيدِكُمْ!

فَإِذَا نَظَرْتَ فِي السَّجَلَيْنِ مَعًا؛ وَجَدْتَ الْعَامِلَ الْمُشْتَرَكَ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَحْدَاثِ الَّتِي مَرَّتْ إِلَّا قَلِيلًا إِلَّا الْمَعْنَى الْقَائِمُ؛ وَهُوَ أَنَّهُ لَيْسَ
مَعْنَى أَنْ تَكُونَ طُهْمَةً فَاجِرَةً... وَأَنْ تَكُونَ جَمَاعَةً نَاكِرَةً... وَأَنْ تَكُونَ عِصَابَةً
مُفْسِدَةً قَدْ تَحَكَّمَتْ فِي شَيْءٍ؛ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ تَصِيرَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا فَاجِرَةً، وَأَنْ
تَصِيرَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا فَاسِدَةً مُفْسِدَةً، وَإِنَّمَا تُحَافِظُ الْأُمَّةُ عَلَى نِقَائِهَا؛ وَإِنْ فَسَدَ مَنْ
فَسَدَ، وَإِنَّمَا يُفْرَزُ مِنَ الْأُمَّةِ بَعْدُ مَنْ يُعْلِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ الرَّأْيَةَ، وَيُثَبِّتُ اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنْ شَاءَ عَلَى الْحَقِّ بِالْحَقِّ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَسْأَلُ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - أَنْ يُرَدِّدَنَا وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ
إِلَى الْحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا.

اللَّهُمَّ رُدَّنَا وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا إِلَى الْحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا، وَأَحْسِنْ خِتَامَنَا
أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

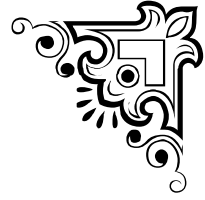
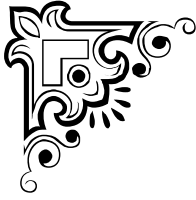
اللَّهُمَّ أَحْسِنْ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ جَنِّبْ وَطَنَنَا مِصْرَ، وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ؛ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَطَهِّرْ وَطَنَنَا وَجَمِيعَ أَوْطَانِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ،
وَالشُّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْخِيَانَةِ وَالْخَائِنِينَ، وَالْفَسَادِ وَالْمُفْسِدِينَ، وَالْبِدْعَةَ
وَالْمُبْتَدِعِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، يَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَدَّثَ فِي رَمَضانَ - الجُمُعَةَ ١٠ مِنْ رَمَضانَ ١٤٣١ هـ، المُوافِق



الفهرس

- ٣ مُقَدِّمَةٌ
- ٤ تَرْبِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَلَى الْجُودِ
- ٧ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَأَهْلَهُ.
- ٩ الْجُودُ وَالْإِيثَارُ فِي رَمَضَانَ
- ١٤ الْحَثُّ عَلَى أَلْوَانٍ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي رَمَضَانَ
- ١٨ * رَمَضَانُ شَهْرُ الْإِنْتِصَارَاتِ وَالْأَحْدَاثِ الْعَظِيمَةِ:
- ١٨ - بَعَثَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَنُزُولُ الْوَحْيِ فِي رَمَضَانَ
- ٢٣ - غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ
- ٢٨ - فَتْحُ مَكَّةَ وَتَحْطِيمُ الْأَصْنَامِ فِي رَمَضَانَ
- ٢٩ - حَفْرُ النَّبِيِّ ﷺ الْخَنْدَقِ فِي رَمَضَانَ
- ٣٠ - فَتْحُ الْأَنْدَلُسِ فِي رَمَضَانَ
- ٣١ - مَوْقِعَتَا مَرَجِ الصُّفْرِ، وَعَيْنِ جَالُوتَ فِي رَمَضَانَ

- ٣٢ - حَرْبُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، آخِرُ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ.....
- ٣٣ الْأَسْبَابُ الْحَقِيقِيَّةُ لِنَكْسَةِ عَامِ (١٩٦٧ م).....
- ٣٥ نَصْرُ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَشِعَارُ «اللَّهُ أَكْبَرُ».....
- ٣٧ أَسْبَابُ نَصْرِ الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ.....
- ٤١ الْفَهْرُسُ.....

